الاستلزام الحواريّ في "الرّواية المستحيلة" لغادة السّمّان
مقاربة تداوليّة في مضمرات القول

***أ.د مالك ياسين**

****ملاذ حرفوش**

الملخص

يعدّ الحوار أحد أبرز أشكال التّواصل البشري، وهو الجانب الحيّ الأكثر تفاعلاً وحيويّة في العمل الأدبيّ الرّوائيّ، وقد اشتغلت النّظريّات اللّغويّة مؤخّراً على دراسة الحوار من منظور لسانيّ تداوليّ، وفق نظريّة الاستلزام الحواريّ الّتي أُدرجت ضمن النّظريّة التّداوليّة، بوصفها مبحثاً من مباحثها الإجرائيّة واللّسانيّة، وصنّف اللّغويّون أشكال الاستلزام الحواريّ وفق مبادئ لغويّة محدّدة، أُطلق عليها مبدأ التّعاون، وكان خرق هذه المبادئ ركيزة استدلاليّة تغني الحوار، وتضمر مقاصده، وتمدّه بمقدرة تفاعليّة أعمق، وتُبنى هذه العمليّة الحواريّة على شروط تواصليّة تراعي مقام أطراف العمليّة التّواصليّة، وخلفيّاتهم المرجعيّة، ومعارفهم المسبقة، ويتمّ في هذا البحث استقصاء بعض المقاطع الحواريّة الواردة في رواية "الرّواية المستحيلة"، وتحليلها تبعاً لمبادئ النّظريّة الحواريّة، مراعية الأبعاد الحواريّة، والشّروط التّواصليّة؛ لتكشف الدّراسة مضمرات التّواصل الحواري في النّصّ، وصولاً إلى التّأويل اللّغويّ المقصود من البنية الحواريّة وترميزها الكلاميّ المؤسّس لمدلولات ومقاصد تداوليّة متعدّدة ومتنوّعة.

الكلمات المفتاحيّة: الحوار، التّداوليّة، المضمر، مبدأ التّعاون، الرّواية.

* أستاذ. قسم اللّغة العربيّة، كليّة الآداب والعلوم الإنسانيّة، جامعة تشرين، اللّاذقيّة، سورية.

**طالبة دكتوراه (الدّراسات اللّغويّة). كليّة الآداب والعلوم الإنسانيّة، جامعة تشرين، اللّاذقية، سورية.
malaz19harfosh86@gmail.com

مقدّمة:

تقصّى البحث المحادثة الحواريّة في رواية "الرّواية المستحيلة" للكاتبة السّوريّة "غادة السّمّان"، ودرسها من منظور تداوليّ، وذلك وفق نظريّة الاستلزام المحادثاتيّ ومبدأ التّعاون عند غرايس؛ إذ شغل الحوار جانباً تفاعليّاً في الرّواية، وتنوّع بين أطراف متحاورة عدّة، وأخذ أحياناً طابعاً مونولوجيّاً خاصّاً، وتميّز في الرّواية بمضمراته الكلاميّة، وبتنوّع المقاصد التّداوليّة، فانشغل البحث بتقصّي مضمرات الحوار، وأخذ السّياق الكلاميّ بعين الحسبان، لما له من أهمّيّة في كشف مضمرات القول الّتي يتوخّاها المتكلّم، وبُني هذا التّأويل الحواريّ على نظريّة الاستلزام بمبادئها الحواريّة.

أهميّة البحث وأهدافه:

تُبنى الدّراسة على تحليل الحوار في الرّواية من منطلق نظريّة الاستلزام الخطابيّ، وتفترض الدّراسة أنّ للحوار بعداً تداوليّاً ذا معان غير مباشرة، فهل حقّق الحوار التزاماً تداوليّاً مع مبدأ التّعاون أم اعتمد خرقه؟ وما أسباب خرق مبدأ التّعاون، وكيف يشكّل الخروج على الالتزام به تفاعلاً أكبر؟ ما المقاصد المفترضة وراء مضمرات القول؟ وما الأبعاد التّداوليّة الّتي وصلت إليها العمليّة التّفاعليّة في الحوار؟

مواد البحث ومنهجه:

تُبنى الدّراسة على مقاربة تداوليّة للرّواية، وهي رواية سوريّة حديثة، طُبعت طبعتها الأولى سنة 1997، تناولت قصّة متخيّلة مستمدّة من واقع سورية، ودارت أحداثها في القرن الماضي، فرُصدت المادّة العلميّة وجُمعت، وتمّ تصنيف البنية النّصّيّة وتحليلها وتأويلها، وصولاً إلى هدف البحث ونتائجه الوصفيّة والعلميّة والموضوعيّة.

المناقشة:

شملت المناقشة جانبين؛ الأوّل نظريّ، توخّت الدّارسة فيه العرض الموجز لمفاصل البحث النظرّية الّتي سيبنى عليه التّطبيق، والثّاني تطبيقيّ، وفيه عُني الدّرس بتحليل بعض أطراف المحادثات الواردة في الرّواية وفقاً لما جاء في التّنظير، وتمّ انتقاء حوارات لوحظ البعد التّداوليّ والعمق القصديّ في جوانبها.

القسم النظريّ:

تعريف الحوار **لغة:** "أحارَ عليه جوابه: ردّه. وأحرت له جواباً وهو أحار بكلمة، والاسم من المحاورة الحوير، تقول: سمعت حويرهما وحوارهما. والمحاورة المجاوبة. والتّحاور: التّجاوب؛ وتقول: كلّمته فما أحار إليّ جواباً وما رجع إليّ حويراً ولا حويرة، ولا محورة ولا حواراً أي ما ردّ جواباً واستحاره أي استنطقه... يُقال: كلمته فما ردّ إليّ حوراً أي جواباً"[1]، واصطلاحاً Dialogue: "تبادل الكلام بين اثنين أو أكثر. والحوار نمط تواصل؛ حيث يتبادل ويتعاقب الأشخاص على الإرسال والتّلقي"[2].

يُلاحظ ممّا تقدّم أنّ الحوار يتطلّب طرفين يتشاركان في العمليّة التّواصليّة، ويتمّ في هذه العمليّة حدّ أدنى من التّفاعل والاستجابة بينهما، ويتحتّم على ذلك بالضّرورة وجود موضوع قائم لغرض مقصود قيد التّحاور، وصولاً إلى غاية نفعيّة منتظرة منه.

نشأة مصطلح الحوار:

انطلق الحوار بمفهومه المعاصر في أعمال "ميخائيل باختين" ودراساته النّقديّة والأدبيّة لنتاج الكتّاب الرّوس، وتوسّعت دراسته لتشمل مفهوم تعدّد الأصوات في النّصّ، والحوار الدّائر بين النّصوص وفق مفهوم التّناص*، فحظيت الرّواية من وجهة نظر باختين بميّزة الحوار مع نصوص سابقة لها، غير أنّ مفهوم الحوار الذي يُعنى به البحث يرتبط بالمحادثة الّتي تدور بين شخصيّات الرّواية، وما ينتج من هذا الحوار من تفاعل تخلقه مضمرات القول الّتي تأخذ أبعاداً تداوليّة في هذا العمل.

---

[1] **ابن منظور** أبو الفضل جمال الدين محمّد بن مكرم الأنصاري الإفريقي المصري،1981 – **لسان العرب**. ط1، تحـ: عبد الله علي الكبير، محمد أحمد حسب الله، هاشم محمد الشازلي، دار المعارف، مصر، مادة: حور.

[2] **علوش** سعيد، 1985– **معجم المصطلحات الأدبية المعاصرة**. ط1، دار الكتاب اللبناني، بيروت، سوشبرس– الدار البيضاء، 78.

*يرى "باختين" أنّ الرّواية هي النّوع الأدبيّ الّذي توّج النثر؛ لذلك تظهر ظاهرة الحواريّة بصورة قويّة وجذريّة في الرّواية، في الرّواية تكون للحواريّة فيها جذور ضاربة بعمق في تنوّع الملفوظات وفي تعدّد اللّغات، وفي أشكال الأسلبات، وليس فقط في تناقضات الشّخصيّات وتعقّد علائقهم الاجتماعيّة". **بوعزة** محمد، 1995– **الحوارية الروائية**، البيان، الكويت، 1 نوفمبر، 8.

كما أنّ "فكرة الحوار اللّغويّ من انشغالات الشّكلانيّين الرّوس، فهم يلحّون على الطّابع الحواري للتّواصل اللّغوي، ويرون أنّ المونولوج، باعتباره شكلاً جنينيّاً للّسان المشترك، قد أتى بعد الحوار"[1].

ويؤكّد الشكلانيّون الرّوس – وهم الّذين أولوا عناية بالجانب الحواريّ– وجوبَ إدراج المونولوج في إطار العمليّة الحواريّة، فهو من منظور الأدب شكلٌ من أشكال التّواصل في النّصّ، تواصلٌ له أبعاده الفكريّة الّتي تستحق البحث في الأعمال الأدبيّة.

ولم ينحصر فهم الحوار ودراسته في مجال الأدب فقط، بل "اشتغلت عليه التّداولية، وعلم اللّغة الاجتماعيّ، وعلم لغة النّصّ وتحليل الخطاب، وكذا علم النّفس خصوصاً إذا تعلّق الأمر بالحوار الدّاخليّ مثل المونولوج، ومناجاة النّفس، وتيّار الوعي وأحلام اليقظة"[2]، فالتّواصل بموجب الحوار عمليّة معقّدة تشغل حيّزاً واسعاً في مبحث علم النّفس بجانبيه؛ الدّاخليّ (المونولوج– أحلام اليقظة...) والخارجيّ.

هيئة الحوار وأثره:

لا شكّ في أنّ العمليّة التّواصليّة الحواريّة ذاتُ تأثير متبادل بين المتحاورين، وإذا كان الحوار علاقة تقوم بين طرفين أو أكثر، فهو يتطلّب جملة من المعطيات الّتي تضمن نجاحه واستمراره، فالحركات المصاحبة للكلام، والإشارات اليدويّة، والتّعبيرات الجسديّة، وباقي الأيقونات التّواصليّة تسهم بشكل فعّال في نقل الرّسالة اللّغوية، وتسهيل فهمها لدى المستمع[3]، فلغة الجسد المرافقة للحوار تشكّل علامة فارقة لفهمه، ومنه تسعى الأنواع الأدبيّة التي تُدرج الحوار في متنها إلى توضيح التّعبيرات الجسديّة كتابة، وتجسيدها في النّصوص، بوصفها جزءاً أساسيّاً يعوّض عن فقدان الصّورة الناقلة لتلك الحركات أو الإيماءات المرافقة للحوار، لأنّها جزء أساسيّ من التّواصل الكلاميّ بين المتحاورين، وهو يتيح المجال لفهم المقاصد الكلاميّة.

---

[1] **كريستيفا** جوليا، 1 أكتوبر 2000– **الكلمة والحوار والرواية**. الآداب الأجنبية، تر: حسن المودن، ع104، ، 75.

[2] زاوي، **أحمد** ، 1 أكتوبر 2013– **تجليات الحوار في الخطاب السردي عند محمد مفلاح**. مجلة إشكالات في اللغة والأدب، الجزائر، ع3 ، 49.

[3] ينظر: **علوي** محمد إسماعيل، 2013– **التواصل الإنساني دراسة لسانية**. دار كنوز المعرفة، عمان، ط1، 60.

ويمكن تصنيف الحوار في أشكال تواصليّة تصاعديّة من منظور علميّ تفصيليّ، هي "الحوار والمحاورة والتّحاور، يختصّ كلّ منها بمنهج استدلاليّ وآليّة خطابيّة وبنية معرفيّة ونماذج نظريّة وشواهد نصّيّة، وتتفاوت في قدرتها على أداء الحواريّة"[1]، فإذا كان الحوار أداءً نطقيّاً وعمليّاً للكلام بين أطراف الحوار، فإنّ المحاورة تأخذ شكلاً تصاعديّاً، يطرح الأفكار والقضايا موضوع الحوار، أمّا التّحاور فهو إطار شامل وواسع للدخول في هذه العمليّة المعقّدة بين الأطراف، وصولاً إلى الإقناع.

ويبدو أنّ المحاور غالباً ما يُجري حواراً داخليّاً مع ذاته، محاولاً من خلاله تخيّل الأسئلة التي يتوقّع أن يطرحها المشاركون في الحوار، كما يحاول أن ينتقي الأجوبة التي يراها أكثر ملاءمة وإقناعاً[2]، فالحوار عمليّة لغويّة ذهنيّة معقّدة، تبدأ من ذاتنا، فتنشأ بداخلنا علاقة تواصليّة عميقة، نقيم فيها حوارات متخيّلة حول قضيّة ما، تزرع فينا جملة من الأسئلة وربما الأجوبة قبل أن نفتح الحوار مع الآخر، هذا إذا افترضنا وجود عمليّة قصديّة حواريّة واقعة ضمن خطّة تواصليّة، غير أنّ هناك حوارات اعتباطيّة غير قصديّة، تخلقها ظروف لقاءات بين أطراف اعتباطيّة، وهي لا تختلف في الإجراء التّواصليّ، ولا تخلو من مضمرات كلاميّة تخلقها الحوارات المفتعلة.

الاستلزام الحواريّ عند غرايس:

أفرز البحث اللّغويّ في مجال المحادثة شروطاً جديدة وأشكالاً رئيسة أسّسها التداوليون* الغرب، فميّز "غرايس" بين ما يقال "what is said" ، وما يقصد "what is meant"، فالنّاس في حواراتهم يقصدون أكثر ممّا يقولون، أو يقصدون عكس ما يقولون،

---

[1] **عبد الرحمن** طه، 2000- **في أصول الحوار وتجديد علم الكلام. ط2**، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، 55.

[2] ينظر: **عبد الفتاح** محمد، 1979- **سيكولوجية الاتصال والإعلام**. دار المعرفة الجامعية- الإسكندرية، 62 وما بعد.

* النّظريّة التّداوليّة: "دراسة استعمال اللّغة مقابل دراسة النّظام اللسانيّ الّذي تُعنى به اللّسانيّات" **روبول** آن؛ **موشلر** جاك، د.ت- **القاموس الموسوعي للتداولية**. د.ط، تر: مجموعة من الأساتذة والباحثين بإشراف عز الدين المجدوب، مراجعة: خالد ميلاد، المركز الوطني للترجمة، دار سيناترا- تونس، سلسلة اللسان، ص21.

فأراد أن يقيم طريقاً واضحاً بين المعنيين الصّريح explicit meaning والضّمنيّ inexplicit meaning، فنشأت لديه فكرة الاستلزام[1].

أدخل "غرايس" في مقالته الّتي نشرها عام 1975 "Logic and Conversation" مفهومين؛ هما: الاستلزام الخطابيّ، ومبدأ التعاون*، ولهذين المبدأين قواعد، هي:

1. الكمّ maxim of Quantity: لتكن مساهمتك بالقدر المطلوب.
2. الطّريقة maxim of Manner: قل كلامك من دون غموض أو لبس.
3. النّوع maxim of Quality: لا تقل ما هو كاذب أو ما لا يمكنك أن تبرهن عليه.
4. العلاقة maxim of Relevance: اجعل كلامك متّصلاً بالموضوع[2].

هذه القواعد المحادثاتيّة* تبيّن أهميّة مراعاة أطرافِ الحوار الكلامَ المناسب للغرض، والكميّة الكلاميّة المحدّدة، والتزام صدق الأقوال، فـ"غرايس" يفترض أنّ هذه المبادئ تحكم عمليّة التّواصل، غير أنّ المفاجئ الّذي يفترضه في منطق المحادثة هو خرق مبادئ التّعاون؛ أي الخروج على حدود القواعد السّابقة؛ لينفتح أفق الحوار الّذي يضمر معاني ضمنيّة، ومقاصد تداوليّة غير مباشرة.

---

[1] ينظر: **نحلة** محمود أحمد، 2002- **آفاق جديدة في البحث اللغوي المعاصر**. د.ط، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية، 33، عن كتاب: Thomas- J.1996 **Meaning in Interaction**. An Introduction to Pragmatics Longman London and New York. P55 f.

* مبدأ فعلياتيّ شامل قدّم له غرايس في نظريّة التّلويح الحواري، وهو مبدأ يحدّد الطّريقة التي تستعمل فيها اللغة بأعلى قدر من الكفاية والفاعليّة لتحقيق التّفاعل التّعاونيّ والعقلانيّ في الحوار. ينظر: **هوانغ** يان، 2020- **معجم أكسفورد للتداولية**. ط1، تر: هشام إبراهيم عبد الله الخليفة، دار الكتاب الجديدة المتحدة، لبنان، 196.

[2] ينظر: **روبول** آن؛ **موشلار** جاك، 2003- **التداولية اليوم علم جديد في التواصل**. ط1، تر: سيف الدين دغفوس، محمد الشيباني، مراجعة: لطيف زيتوني، المنظمة العربية للترجمة، دار الطليعة- بيروت، 55.

* أضافت "روبن لاكوف" -وهي باحثة لسانيّة- قواعد محادثاتيّة عُرفت بـ "مبدأ التّأدّب"، ويُؤسّس الحوار تبعاً لملاحظتها على قواعد، هي: يشترط الحوار ألّا تفرض نفسك، وأن تقدّم خيارات، وأن تظهر الودّ. ينظر: **ختام** جواد، 2016- **التداولية أصولها واتجاهاتها**. ط1، دار كنوز المعرفة، عمان، 107- 108.

التّطبيق والمناقشة:

تندرج اللّغة الحواريّة في نصّ "الرّواية المستحيلة"* في بنيّة لغويّة تحفل بالمدّلولات وبالمعاني الضّمنيّة، فتنطوي على أبعاد اجتماعيّة وذاتيّة، جاء في الرّواية:

تقول "فلك" زوجة "عبد الفتّاح": **"كلّ مصائبنا من هذه البومة. ناحت ليلة ولدت هند أوّل مرّة فأنجبت بنتاً، وناحت يوم ولادتها الثّانية فقتلتها والصّبيّين [...] لا بدّ من قتلها كي نرتاح، ولكن أين تختبئ؟**

قالت بوران: زين هي السّبب في موت أمّها لا البومة وحدها. فلو كانت صبيّاً لما اضطرّت هند لإعادة الكرّة ولما ماتت. وأضافت قبل أن تغيب خلف الباب حاملة هاني الّذي لم يتوقّف عن البكاء: لو تركتموني أتعلّم وأصير طبيبة لعالجتها ولما ماتت"[1].

في هذا الحوار الدّائر بين مجموعة من نساء العائلة يخرق المتحاورون مبدأ التّعاون بوضوح، بهدف زيادة التّواصل التّفاعليّ، وفتح أفق أوسع لاستمرار الحوار، ومدّ جسور لمواضيع جديدة، فالسّؤال "**أين تختبئ؟**" لم يحظ بجواب، بل فتح مشروعاً حواريّاً جديداً يتلاءم مع مقام المتحاورين، ويدعم المعتقدات الّتي تتجاذبها أطراف الحوار بوصفها عنصراً من عناصر الحوار، فالاهتمامات واحدة، وطريقة تفكير طرفي الحوار متشابهة،

* تتحدّث الرّواية عن عائلة تقطن في دمشق، في زمن الانتداب الفرنسيّ وما بعد الاستقلال، تقصّ حكاية زين الطّفلة التي ماتت والدتها هند عقب ولادتها لصبيين قضيا بعد وفاة الأم، تعيش زين مع والدها أمجد وجدتها في منزل العائلة، يلفّ الغموض حياة والدتها التي يتحفّظ الجميع على البوح بماضيها، تكبر زين الفتاة المفعمة بالنّشاط والحيويّة والرّغبة في الاكتشاف والبحث والعبث وحبّ اللّعب والقراءة والكتابة، وتنشأ في ظلّ ازدواجيّة تربويّة، فوالدها "أمجد" المحامي الّذي يتصّف بالهدوء والاتّزان، يسعى إلى تربيتها تربية منفتحة، معطياً إياها هامشاً من الحريّة في ممارسة كلّ ما تهوى، في حين يلفّها محيط عائلتها المتسلّط والتقليدي بجوّ من التقييد والتأنيب، فتمارس عمّتها "بوران" دور المرأة النّصوح التي لا تكفّ عن تأنيب "زين" على سلوكياتها، ويعمل عمّها "عبد الفتاح" جاهداً ليحافظ على تقاليد العائلة والبيئة المحيطة، لائماً "أمجد" على تربيته لابنته، وتكبر "زين" متحدّية الجميع، مصمّمة على ممارسة الكتابة، مكتشفة أسرار والدتها، تنتهي الرّواية حين ترافق زين والدها إلى حفلة افتتاح طيران شراعيّ في دمشق، فيقود الطّائرة طيار ألماني، ترافقه زين في رحلته السّريعة في سماء دمشق، وهي مغمورة بالغبطة والشّجاعة.

[1] **السمان** غادة، 1997 نيسان – **الرواية المستحيلة فسيفساء دمشقية**. ط1، منشورات غادة السمان بيروت،41.

وهي تضمر رغباتهم الملحّة المتمثّلة في ربط المصائب والنوائب بعوامل غير منطقيّة وباللامألوف، وفق إصرار منهم على تفسير هذه العوائق تفسيراً شعبيّاً غير مجدٍ.

وبناء الحوار السّابق يراعي ما يُبنى الحوار عليه بوجه عامّ، حين يتساوق مع جملة من الشروط الّتي تتوافر بين أطراف العمليّة الحواريّة؛ هي: الشّرط المعرفي الّذي يمثّل الخزان المعرفيّ الذي يستقي منه المتحاورون مضامينهم الحواريّة، والشّرط المقاميّ المرتبط بمقام التّواصل والظّروف الزّمانيّة والمكانيّة، والشرط القصديّ، وهو سابق لدى المرسل، بظاهره ومضمره، في حين أنّه لاحق لدى المتلقّي، يعتمد ظهوره لديه على مبدأ المثير والاستجابة[1]، فالعمليّة الحواريّة، في أبسط أشكالها وأقلها تعقيداً، تستحضر جهداً معيّناً، ينضوي على فكرة يشترك فيها طرفان على أقلّ تقدير، وتُراعى فيها الظّروف المقاميّة للمتلقّي بوصفه طرفاً ثانياً، والأخذ بالمقام التّواصليّ للمتلقّي شرط ضمان نجاح المقاصد الحواريّة.

ويتصاعد الحوار عند ربط سبب موت "هند" بابنتها "زين"، وثمّ يخرق قولها: "**لو تركتموني أتعلّم .. لعالجتها ولما ماتت**" مبدأ التعاون، فهو يتعارض مع اتّجاهات التّفكير المتداولة لدى المتكلّمين، فتتكشف المفارقة الفكريّة بين تعدّد أسباب الموت المرتبطة بالخرافات ومحاربتها بوسيلة علميّة طبّيّة، ويؤسّس الأسلوب الشّرطي بطابعه الحجاجي لوجود قول مضمر، حين يضع قوّة العلم وجهاً لوجه أمام ضحالة الجهل المرتبط بالأعراف الشّعبيّة، فيضمر الحوار نقداً للخلفيّات المرجعية الشعبيّة التي تشكّل عاملاً هدّاماً للفكر الحضاريّ والمنفتح المنطقيّ، ويحثّ الحوار على تجنّب الأحكام المسبقة المبنيّة على آراء عامّة، والمستقاة من الثّقافة الشّعبيّة الطّاغية على منطق التّفكير.

ويدور الحوار الآتي في أثناء "سيران" العائلة: "**ناداها عمّها عبد الفتّاح قائلاً: يا فيحاء، أعدّي لي فنجان قهوة. وصُعق الجميع حين أجابت: لماذا لا تعدّه بنفسك؟ ألا**

[1] ينظر: **نظيف** محمد، 2010- **الحوار وخصائص التفاعل التواصلي دراسة تطبيقية في اللسانيات التداولية**. د.ط، أفريقيا الشرق، المغرب، 56-57.

ترى أنّني أقرأ وأستعدّ للامتحانات؟ زجرتها عمّتها بوران: عيب أن تردّي هكذا على عمّك الكبير"[1].

لا تُعدّ كلّ عمليّة حواريّة عمليّة تواصليّة عميقة ما لم تكن مسكونة بالمدلولات وبالمقاصد التّداوليّة، وتتمثّل أبعاد الحوار في البعد الحجاجيّ، والجدليّ، والدّلاليّ، والتّأويليّ، والحواريّ[2]، وفي هذا الحوار يتضّح البعد الجدليّ الذي يعكس اختلاف الأيديولوجيات التي تمثل اتجاهين متناقضين سائدين؛ إذ يشكّل ردّ "فيحاء" على عمّها خرقاً جديداً لمبدأ العلاقة في الحوار، فالنّداء يمثّل طلباً كلاميّاً، والفعل "**أعدّي**" يمثّل طلباً آخر يحدّد ماهيّة الغرض المطلوب من النّداء، ويتوقّع المحاور ردّاً على طلبه، غير أنّ سؤالها يُنشئ بعداً حواريّاً إشكاليّاً، ويستلزم التّفكير بأبعاده الدّلاليّة، استدعى هذا بدوره تبادل الأطراف، وتدخّل طرف ثالث في هذه العمليّة الحواريّة، حين ردّت العمة على السّؤال غير المباشر " **لماذا لا تعدّه بنفسك؟**" بإجابة غير مباشرة "**عيب أن تردّي هكذا**". وبناء على ذلك تفسّر المحادثة إدراك المتحاورين الأبعاد الدّلالية للسّؤال الخارج على معنى الاستفهام، ويبدو أنّ مبدأ التّأدّب الّذي يُدرج محور "إظهار الودّ" ضمنه قد خرج على حدوده أيضاً، فإنكار القيام بالفعل المطلوب، والتّمرّد عليه يعدّ عملاً مستفزّاً، تقرّ به فتاة شابّة ترفض الإذعان لنداء رجل، يشكّل ردّها خللاً في منظومة المجتمع التّقليديّة وعقليّته الرّجعيّة، فهناك أمران ملزمان يوضّحهما السّياق المقاميّ؛ الأوّل كونه رجلاً، والثّاني بوصفه عمّها الكبير في السّن، إنّ هناك ثنائيّة واقعيّة انعكست في هذا النّصّ، وتمثّلت في "المرأة/ الرّجل الطّرف المتفوّق مهما وقع عليه من اضطهاد خارج إطار هذه الثّنائيّة، في حين تظلّ المرأة [...] الطّرف المنكسر المعوز في إطار الثّنائيّة"[3]. إنّ ردّ الفتاة يضمر معاني ضمنيّة شتّى، تسعى من خلالها إلى الخروج على المألوف، وهدم السّلطة الذّكوريّة، وكسر معايير التّبعيّة المتوارثة الّتي تبتّ الأمور لمصلحة الأقوى اجتماعيّاً.

---

[1] **السمان** غادة، **الرواية المستحيلة**. 49-50.

[2] ينظر: **عشير** عبد السلام، 2006- **عندما نتواصل نغير مقاربة تداولية معرفية لآليات التواصل والحجاج**. د.ط، أفريقيا الشرق، المغرب، 200 وما بعد.

[3] **الأعرجي** نازك، 1997- **صوت الأنثى دراسات في الكتابة النسوية العربية**. ط1، دار الأهالي، دمشق، 35.

ويدور حوار بين فيحاء وإحدى عمّاتها؛ إذ تبدأ العمّة قائلة:

"إلى أين سيوصلك هذا الكتاب الّذي أراه دائماً في حضنك؟

–إلى دار المعلّمات. أريد أن أتعلّم لأصير معلّمة مدرسة، وليصير لي راتب[...] لا أريد أن أكون عالة على أخي وعلى زوجته حين يتزوّج"[1].

يقود السّياق المرجعيّ المباشر المتحاورين إلى خرق حواريّ جديد، يزيده تفاعلاً وبناء، ويعمّق مضمون الحوار، فالسّؤال تداوليّ بطبيعته، وقد جاء استفساراً عن أمر معنويّ يتجسّد في هيئة آلة ماديّة "**إلى أين سيوصلك هذا الكتاب؟**"، يدعم الحجاج التّفسيريّ مقاصد المتكلّم، فيتدرّج سلّمياً في عمليّة إقناعيّة تؤكّد أسباب السّعي إلى اكتساب العلم، فرغبة المتكلّم في التّعلّم الذي يدعمه الاستقلال المادّيّ من خلال العمل، لكونه ركيزة مهمّة للفتاة، ويعدّ الإسهاب الشّارح في الجواب خرقاً لمبدأ الكمّ.

إنّ المضمرات التّداوليّة وراء ما يقال يشجّع الآخر على تكوين ذاته، واستقلاله عن تبعيّة المعيل، ليعيل نفسه بنفسه بعد امتلاك مقوّمات داعمة، فتعزيز الجانب المادّيّ لدى المرأة عامل رئيس من عوامل التّحرر والاستقلال، وهو واحد من أسباب التفوّق وإثبات الذّات.

تقول "فيحاء" أيضاً:

"كنت أضع المنديل على شعري ليتركني عمّي عبد الفتاح وشأني كي أتعلّم وأعمل وأكون حرّة كما أنا اليوم . . .

" –حرّة. . . ما معنى حرّة؟" سألتها زين.

أجابت فيحاء ضاحكة: حرّة يعني صبيّ"[2].

ينشأ في هذا الحوار تفاعل كلاميّ بين مقامين مختلفين عمريّاً، فهو يدور بين فتاة صغيرة وأخرى شابّة، ويتخلّله خروج على مبدأ النّوع؛ وذلك عندما تقول كلاماً ليس صادقاً، إنّ تفسير الحرّيّة بكونها صبيّاً يحقّق شرطاً حواريّاً مقاميّاً؛ ويضمر معاني تستوجب التّأويل

---

[1] **السمان** غادة، **الرواية المستحيلة**. 71.

[2] **المصدر السابق**. 128.

التّداوليّ، فتضعنا اللّغة أمام تعريف قيميّ لمفهوم الحرّيّة بكونها صبيّاً، ومن الواضح إشكاليّة اختلاف هذا المفهوم بحسب المجتمعات، فكلّما ازداد التّحيّز إلى الذّكر ضاقت الحرّيّة على الأنثى، الأنثى الّتي باتت تشعر بأنّ المخرج يكمن في أن تُخلق ذكراً حرّاً، ولأجل الموضوعيّة يمكن القول: إنّه يملك هامش حريّة أكبر، يحصّل علومه، ويدخل غمار العمل كما يشاء، ومن ثمّ يحصل على حرّيّته باستقلاليّته، هذا المفهوم الّذي يدفع الطّفلة زين إلى قولها في حوار مع والدها:

"أريد أن أكون علقةً

لم يفهم ما تعنيه وسألها ضاحكاً: كي تمصّي دم الصّبيان؟

–أرادت أن تقول له: لأنّني بنت وصبيّ في آن"[1].

ينتقل الحوار المتبادل بين طرفين إلى المونولوج، ويبتعد عن مبدأ الكمّ؛ عند عدم الرّدّ على السّؤال المباشر بجواب واضح ومباشر، إنّ سكوت الطّفلة، وثمّ مناجاتها لنفسها يعدّان شكلاً حواريّاً غير فاعل، ويدلّان على الاختلاف لا الاتفاق، ويقطعان سبل تصاعد التّفاعل الحواريّ واستمراره، وعدم الرّدّ المباشر على المتكلّم يشكّل عقبة في طريق الاستلزام الحواريّ، لكنّه يحمل معاني مضمرة يفسّرها سياق النّصّ، فمن جهة يمكن القول: نجد في المعنى الضّمنيّ أن كلاً من الذّكر والأنثى جنسان متكاملان، ومن جهة أخرى نلمح في التّأويل التّداوليّ الّذي يفسّره السّياق اللّغوي إشارة إلى مفهوم "جندريّ"*، يُزيل بدوره العلامات الفارقة بين الجنسين، ويزيح أزمة التمييز بينهما، ويجعل من الإنسان عضواً إنسانيّاً فاعلاً ومتفاعلاً ومنتجاً، من دون الأفكار المسبقة المرتبطة بجنسه، فهي تعوقه عن ممارسة أفعال قد يملك الإمكانيّة على القيام بها، فشعور الطفلة بكونها ذكراً وأنثى معاً تعبير طبيعي خارج

---

[1] **السمان** غادة، **الرواية المستحيلة**. 202.

* يقصد به "الأدوار الاجتماعيّة الذّكريّة والأنثويّة [...] اعتبر الجنس أساساً بيولوجيّاً للفروق بين الذّكر والأنثى، في حين أنّ الجنوسة كانت بناء اجتماعيّاً ثقافيّاً، وهذا الفصل بين البيولوجيا والثّقافة يتعارض مع المعتقدات الشّائعة في وقتها، الّتي كانت تفترض أنّ الفروق الاجتماعيّة والثّقافيّة بين الرّجال والنّساء كان لها أساسها البيولوجيّ". **بينيت** طوني؛ **غروسبيرغ** لورانس؛ **موريس** ميغان، 2010– **مفاتيح اصطلاحية جديدة معجم مصطلحات الثقافة والمجتمع**. ط1، تر: سعيد الغانمي، المنظمة العربية للترجمة، توزيع مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، 263.

على مفاهيم الأنوثة المكتسبة المبنيّة في ذهن الأنثى اجتماعيّاً ونفسيّاً، والشّعور بالانتماء إلى الجنسين مرتبط بالمقدرة المؤسّسة لدى الإنسان، والتي تؤهّله على القيام بالأدوار المنوطة به، بغضّ النّظر عن جنسه.

تناجي "زين" الطّفلة المندفعة نفسها، وهي في لحظة إدبار وإقبال للسّباحة في النّهر: "**إذا كان هو قد فعلها ولم يمت، فلماذا لا أقدر أنا أيضاً؟ .. (لأنّني بنت!). ولسعتها تلك الإجابة الّتي جاءت من أعماقها هي ولم يقلها لها هذه المرّة أحد. وقفزت إلى الماء بكامل ثيابها في لحظة جموح [...] وهي تسمع في أذنيها صوتاً يقول: "لا تخافي"**[1].

يشكّل المونولوج حواراً تفاعليّاً تتصاعد وتيرته تداوليّاً، فالسّؤال الّذي يطرحه المتكلّم على نفسه يلقى إجابة مونولوجيّة عليه، "**لماذا لا أقدر أنا أيضاً؟**، ويردّ على نفسه بنفسه: "**لأنّني بنت!**"، ويتصاعد حوار الأنا في قولها:" **لا تخافي**"، فيتجاوز الحوار الدّاخليّ مبدأ الطّريقة، ويدخل حيّز اللّبس وعدم الوضوح، فيتقابل الضدّان المعنويّان في الحوار، ومن ثمّ يشكّلان في تناقضهما بعداً إشكاليّاً يزيد من غموض المفاهيم، فالخوف انبثق من المحيط الاجتماعيّ العامّ الذي يصرّ على ضعف الأنثى جسديّاً، والثّاني وليد قوّة الأنا الدّاخليّة للإنسان الشّعوريّة واللاشعوريّة، فتشكل الجملتان فعلاً توجيهياً متناقضاً بين دفع وجذب، وتظهر انعكاسات التّربية الاجتماعيّة على الأنثى فيما تولّده من فصل بين الجنسين في التّربية، ويؤكد السياق المرجعي ببواعثه الاجتماعيّة والثّقافيّة الفروق الّتي يبنيها المجتمع بين الجنسين.

هذا ولم تخلُ الرّواية من الهمّ الوطنيّ الّذي جاء به الحوار الآتي بين "زين" ووالدها؛ ليحمل معاني وأبعاداً تداوليّة جديدة:

"**سألها: هل تحبّين سورية؟**

-كثيراً . . .

– لماذا؟

[1] **السمان** غادة، **الرواية المستحيلة**. 221.

– وأنت هل تحبّ أمّك؟

– كثيراً . . .

– لماذا؟"[1]

يزداد التّفاعل بين المتحاورين عندما ينتظر أحد الطّرفين إجابة، ومن ثمّ يتلقّى سؤالاً ينوب عن الجواب، فيخرق الحوار مبدأ العلاقة، ويخلق ذلك أبعاداً تداوليّة تستدعي من السّائل الإجابة عن سؤاله وفق سياق الحوار، إنّ التّشارك في إنشاء النّصّ الحواريّ على هذا النحو يعزّز الفضاء التّفاعليّ، فيدخل العامل الإقناعيّ في الحوار، ويدعم الحوار بآليته الحجاجية المقارنة المضمراتِ التّداوليّة، فوضع الأمّ موضع الوطن، جعل حبّ الأمّ معادلاً لحبّ الوطن، هذا الحبّ الانتمائيّ استطاع نفي السّؤال الّذي لم يحظ بجواب مباشر يمكن الإفصاح عنه، فيرتبط حبّ الوطن بحبّ الأمّ، حبّ غير مشروط، في محاولة لتعزيز الانتماء، وتمكين المواطنة، وتنميتها لدى الطّفل أوّلاً، فيربط السّياق بين الأمّ والوطن، ويجعلهما مترادفين أو وجهين لعملة واحدة.

وفي الرواية ينادي الصّوت الأنثويّ لـ"فيحاء" بالحرّيّة مجدّداً، حين تقول: **"أنا حرّة. ما من رجل فوق رأسي يأمرني بشيء. الحمد لله أنّني حرّة ولن أتزوّج إلّا رجلاً يتركني حرّة. ازدادت بوران ضيقاً وكظمت غيظها (حرّة؟ أهذا الكلام البذيء يقال أمام البنات؟!). قالت بوران [...]: مسكينة. أنت يتيمة، وشقيقك الدّكتور مروان كان مسافراً يتعلّم، وليس لك أحد غيرنا"**[2].

يزداد في هذا النّصّ التّفاعل بين طرفي الحوار، ويبدو أنّ القضيّة التي يُبنى عليها قضيّة شائكة، وموضع خلاف واختلاف بين فكرين يحملان أيديولوجيّات متناقضة، يسعى كلّ منهما إلى إثبات ما يؤمن به، ويبحث عن حجّة تدعم موقفه، والمونولوج الذي دار في ذهن العمّة يُعدّ كلاماً مباشراً داخلاً في صلب الحوار، غير أنّ الرّدّ الصّريح الذي جاءت به ينتهك مبدأ العلاقة المبنيّ على الكلام الموافق للموضوع، ليشكّل خروجها على الموضوع

[1] **السمان** غادة، **الرواية المستحيلة**. 269.

[2] **المصدر السابق**. 273.

ردّاً قمعيّاً ساخراً ومتهكّماً حاملاً الفضل على الآخر، فضلاً عن انتهاك مبدأ التأدّب والودّ بين المتحاورين، وعمليّة الإقناع والاقتناع لم تجد حيّزاً واسعاً في إطار الحوار السّابق، فقد اكتفى كلٌّ منهما بفرض رأيه المنبثق من قناعاته، وأمر الاقتناع متروك للمتلقّي ذاته.

كانت وماتزال حرّيّة المرأة تتعارض مع المجتمع التّقليديّ، وتعدّ هنا عاراً يجب إخفاؤه عن الفتيات خوفاً من استلهام أفكاره، فيسعى أحد الطّرفين إلى تغيير مسار الحوار، وإضمار المعاني المرتبطة بالسّياق، لقد المحاور إلى إثبات ذاته في صورة تمرّديّة تحريضيّة، فالحرّيّة الفرديّة ناشئة من التّملّص من سلطة الرّجل، ولهذه الحرّيّة انعكاسات سلوكيّة تضفي ثقة على كلام المتكلّم، وهناك خوف يضمره الطّرف الثّاني من عدوى الأفكار التّحرّريّة الّتي قد تنتشر بين الفتيات، و"حضور الكفاية الأيديولوجيّة في السّلوك الحواريّ يظهر بالأساس في التّبادل الحجاجيّ، حين يمارس كلّ طرف قدراته التّفسيريّة للقضايا بإبراز المناحي الّتي تعطي قوّة الموقف وذلك الإشراك في الرأي وتحقيق الإقناع"[1]، وفي هذا الحوار تتّجه أيديولوجيا المتحاورين باتجاهات متناقضة، ويسعى كلّ منهما إلى إضمار مفاهيمه الرّاسخة.

يعكس هذا الجانب من الحوار أبعاد الكفاية الاجتماعيّة لشريحة واسعة، ويمثّل موقف العقليّة الثّابتة التّقليديّة أمام العقليّة المنفتحة، ومن شروط التواصل الحواري مراعاة الشرط المقامي، لكن إثارة الانفعالات ما هي إلا محاولة لإثارة حفيظة المتلقّي وإدخاله بوصفه طرفاً في العمليّة التواصليّة، في دعوة إلى الوقوف عند المفارقة القائمة بين الحريّة المتمثلة في حقّ تقرير المصير، والخروج على السّلطة الذّكوريّة.

إنّ "رسالة غادة السّمان إلى النّساء العربيّات في الوقت الحاضر واضحة وهي: عليك أن تعيدي رسم دورك في المجتمع وأن تسعي إلى المساواة القائمة على العدالة الاجتماعيّة، ولكن لا سبيل إلى إحداث المساواة بين الجنسين مادامت تقاليد الزّواج قائمة

[1] **نظيف** محمد، **الحوار وخصائص التفاعل التواصلي**. 37.

دون الاعتراض عليها"[1]، فرفض الزّوج غير المناسب بداية لرفض قوانين الزّواج غير المنصفة، وهو شكل من أشكال الوعي النّسوي تجاه حقوق المرأة.

يستدعي "أمجد" حواراً دار في الماضي بينه وبين صديقته الفرنسيّة: "**هل ترضى بالإقامة معي في باريس والبقاء هنا؟[...] بالتّأكيد لا. أريد أن أعود إلى بلدي. لن أكافئ أمّي الّتي تنفق عليّ بالبقاء هنا. . وثمّة قضايا حقيقيّة أكبر من حبّي لك تربطني بوطني. أجابت بهدوء مماثل: وأنا أيضاً. لا أريد ترك حلقتي الحزبيّة ولا نضالي، ولا أستطيع أن أتحوّل إلى امرأة شرقيّة تنتظرك في البيت وتتحجّب حين تغادره. إنّني من طينة حضاريّة أخرى وأعرف أنّ حبّي لك كبير، ولكنّ الفلسفة علّمتني أن أنظر إلى جوهر الأشياء**"[2].

من الواضح أنّ الإسهاب في جواب كلّ من المتحاورينِ تجاوز مبدأ **الكمّ**، الأمر الذي تترتّب عليه جملة من الأسس الإقناعيّة الّتي تعبّر عن مقامات مختلفة؛ إذ إنّ رفض أمجد البقاء في فرنسا جاء بناء على قضيّتين، الارتباط بـ (الأمّ)، و(القضايا الوطنيّة)، وهما قضيتان ترتبطان بـ (الآخر، والوطن)، ورفض انتقال حبيبته معه إلى بلد عربيّ ارتبط بقضيتين، (إثبات الذّات) و(النّضال الوطنيّ)، وهما ترتبطان بـ (الأنا، والوطن)، ولكلّ منهما أسباب تعتمد على مقامهما وخلفياتهما المرجعيّة والثّقافيّة.

إنّ ردّ المرأة "**لا أريد ترك حلقتي الحزبيّة- لا أستطيع أن أتحوّل إلى امرأة شرقيّة..**)، يضمر معاني ذات غايات تداوليّة، فوجود امرأة غربيّة في بلاد عربيّة سيحول بينها وبين حرّيّتها وممارستها القضيّة الّتي تؤمن بها، وهذا ما لم تعد المرأة الغربيّة المعاصرة ترضخ له، والحجاج اللّغوي المبنيّ على المنظور الفلسفيّ حجاج بالحكمة، هو حجاج إقناعيّ تأثيريّ يتوخّى المنطق ويهدي المتلقي إلى تعديل موقفه وتحفيزه على الاتجاه الواقعيّ لا المثاليّ، ففي المجتمع التّقليديّ تحتلّ المرأة "الموقع الأدنى لكونها تعيش وضعاً مركّباً من الاستعباد والتّهميش والدّونيّة يختلف في نوعه ودرجته عن وضع المرأة الغربيّة؛ حيث

---

[1] **عواد** حنان، 1989- **قضايا عربية في أدب غادة السمان في فترة ما بين 1963-1975**، ط1، دار الطليعة، بيروت، 1989، 159.

[2] **السمان** غادة، **الرواية المستحيلة**. 344.

بلورت النّسويّة مفاهيمها حول الجسد والهوية الأنثويّة، ولا يستقيم أمر الفكر النّسويّ بانتقاء مشكلة بعينها وتعميمها باعتبارها المشكلة الوحيدة لدى جنس النّساء عامّة، دون معالجة وضع المرأة ضمن الحراك العام للمجتمعات البشريّة، فذلك الحراك هو الّذي يحدّد درجة أهمّيّة المشكلة في هذا المجتمع أو ذاك، وفي هذه الثقافة أو تلك"[1]، إنّ ما طرحته المرأة في مقارنتها الواسعة والمسهبة محادثاتيّاً يستدعي النّظر في وضع المرأة العربيّة، فلا نزعم أنّ المرأة في الغرب نالت أقصى درجات الحرّيّة، وأنّ المرأة الشّرقيّة مازالت ترزح تحت قيود ثقيلة بالمطلق، بل هناك تغييرات واضحة إيجابيّة تحفل بها المرأة العربيّة، غير أنّها لم تنل القسط الوافر من الحقوق والحرّيّات اللتين تمنحانها الثّقة والإمكانيّات اللّازمة لبروزها.

وفي الرواية عندما تكبر "زين"، ويكبر معها حب الأدب والكتابة، يقول لها أحد أصدقاء والدتها: ""**الأدب جرثومة مؤذية لصاحبها ولعلك ورثتها عن أمك[...] أنت تشبهينها. تأملها بهدوء وتابع: لا. أنت فقط تشبهينها للوهلة الأولى، ولكنك مختلفة. أنت صلبة وبوسعك أن تكوني قاسية. أنت خجولة ولكن بوسعك أن تكوني جريئة. أنت النسخة العصرية المنقحة عنها**"[2]: في الإسهاب الكلاميّ خروج على الكمّ الحواريّ المطلوب، فالجمل الخبريّة الواصفة المتلاحقة في الحوار تحمل مضمرات تداوليّة تحريضيّة، فعمليّة النّفي والإثبات الموجّهة إلى الفتاة في تشبيهها بوالدتها مدعاة إلى التّساؤل، وفيها خروج آخر على مبدأ الطّريقة، لما في الكلام من لبس، فالتّشابه أساس بني عليه الاختلاف فيما بينهما، إنّ الثابت في النّسخة الأمّ، بات متغيّراً في النّسخة البنت، في دعوة مضمرة إلى كسر القوالب، والقفز على الحواجز، إنّها دعوة إلى الكتابة، "حتى لو كانت الكتابة انتحاراً، كما ترى الرّوائيّة الكبيرة غادة السّمان، ولكنّه الانتحار الّذي تعقبه الولادة الأكثر صخباً، لأنّها امرأة (تشتعل حياة)، ولهذا أورثت بطلتها (هند) وامتدادها (زين) وكلّ امرأة تشتعل حلماً وأملاً وحياة، هذا الميراث الذي لا ينفد"[3]، إنّ مفهوم الكتابة الذي دعا إليه

---

[1] **إبراهيم**، عبد الله، 2011– **السرد النسوي الثقافة الأبوية الهوية الأنثوية والجسد. ط1**، المؤسسة العربية للدراسات، بيروت، 45.

[2] **السمان** غادة، **الرواية المستحيلة**.468.

[3] **الركابي** عذاب، 2012– **الرواية المستحيلة فسيفساء دمشقية لغادة السمان**، نزوى، عمان، ع72 ، 266.

الحوار بما يرافقه من اطّلاع ومعرفة وتفكير وبحث، هو عمليّة تحقيق الذّات التي كانت مهمّشة في الماضي، وتمكين الهويّة الأنثويّة التي اضمحلّت سابقاً، فـ "زين" باتت انعكاساً لكلّ أنثى متحرّرة قويّة، إنّها الأنثى الجديدة التي تمثل المرأة الجديدة بمعطيات القوّة والصّلابة كلّها.

الخاتمة: يخلص البحث إلى جملة من النّتائج الآتية:

1. الحوار عمليّة تواصليّة تفاعليّة ذهنيّة ولغويّة، تندرج في بعدين؛ المونولوج الدّاخليّ لدى الشّخص، والحوار التّفاعليّ بين طرفين أو أكثر، وفي الحوار تبُنى المضمرات في النّصّ الحواريّ، معزّزة العمليّة الكلاميّة التّواصليّة، ويُراعى في الحوار الشّرط المقامي بين المتكلّمين، ويعمل السّياق على تفسير المضمرات اللّغوية وتأويلها.
2. تكشف العمليّة الحواريّة أيديولوجيا الشّخصيّات الرّوائيّة، وأبعاد أفكارها المباشرة والمضمرة، ويمنح خرق مبدأ **الكمّ** مجالاً لتنامي الحوار، وإيصال أكثر ممّا هو مطلوب، تتخلّلها أساليب حجاجيّة تسعى إلى الإقناع، لتعزيز الارتباط بالوطن، أو التّمسّك بعادات مبدئيّة في الحياة، أو بنقدها ومحاولة تغييرها بما يتناسب مع متطلّبات العصر والفكر، وبما يضمن تحرّر الأنثى واكتشاف هويّتها، وتحقيق ذاتها.
3. يعزّز الخروج على مبدأ **العلاقة** التّفاعلَ في النّصّ، فيستحضر الكلامُ غيرُ المناسب لغرض الموضوع ذهنَ المتحاور، للبحث عن مضمرات المحادثة؛ إذ يمثّل عدم الامتثال إلى الموضوع بادرة تفاعليّة لإجراء مقاربات بين الموضوع الظّاهر والموضوع المضمر المقاصد، ويسهم السّياق في فهم مقاصد المضمرات التّداوليّة، فيصل المتحاورون إلى المقاصد بأنفسهم من دون الحاجة إلى الكلام التّقريري المباشر الذي قد يُضعف فرصة تنامي الحوار أو بلوغ مقاصده بأساليب تأثيريّة وإقناعيّة، ودعا الحوار عند ذلك إلى استقلال الذّات الأنثويّة والخروج على التّبعيّة الذّكوريّة والثوابت الاجتماعيّة السّائدة بطريقة غير مباشرة.
4. يعدّ خرق مبدأ **النّوع** الّذي ينأى عن الكلام الصادّق، ويعتمد على مقولات تتعارض مع الحقائق، واحداً من الأساليب المحادثاتيّة الّتي تضمن اتّقاد الجانب التّفاعليّ في الحوار،

ففي قول ما تصعب البرهنة عليه، تمتدّ مساحات التّواصل المتعارضة بين تأكيد أو نفي لقضيّة ما، ومنه سعى المتكلّم إلى الإشادة بالحرّيّة الإنسانيّة وبخاصة لدى الأنثى، ودعاها إلى التمتّع بهامش حرّية يمنحها القدرة على إثبات ذاتها، وتحقيق غاياتها.

5. أمّا ما جاء من خرق قاعدة **الطّريقة** الّتي تتطلّب قول الكلام من دون لبس، فعبّرت الشّخصيّات عن آراء تحمل قناعات أصحابها، بوساطة الكلام المضمر الّذي يحتاج إلى تفسير وتأويل، وسعى المتكلّمون من خلال حواراتهم في النّصّ الرّوائيّ إلى إقناع المتلقّي بعدم الفصل في التّربية بين الجنسين الذّكر والأنثى، بوصفهما يتمتّعان بصفات إنسانيّة تخوّلهما القيام بمهام متنوّعة ومشتركة، وإفساح المجال للأنثى لممارسة الكتابة بما يضمن لها حقّها في التّفكير، وفي التّعبير.

توصيات البحث: تعدّ التّداوليّة حقلاً لسانيّاً خصباً في مجال الدّراسات اللّغويّة، ومازال الإناء فيها ينضح، ومجال التّحليل، والتّأويل، والاستنتاجات اللّغويّة مفتوحة أمام البحث والتّقصّي، وإذا كانت نظرية الاستلزام الحواري واحدة من النّظريّات التّداوليّة المهمّة المرتبطة بالحوار ومضمرات القول، فإنّ الاشتغال فيها ودراسة الحوارات الواردة في النّصوص والخطابات ستكشف عمّا هو غير محكيّ وظاهر في الكلام المنطوق والمكتوب، وستحيلنا الأعمال البحثيّة على مضمرات القول وعلى المقاصد التّداوليّة التي يتوخّاها المتكلّم.

المصادر والمراجع:

1) **إبراهيم** عبد الله، 2011- **السرد النسوي الثقافة الأبوية الهوية الأنثوية والجسد.** ط1، المؤسسة العربية للدراسات، بيروت.

2) **الأعرجي** نازك، 1997- **صوت الأنثى دراسات في الكتابة النسوية العربية،** ط1، دار الأهالي، دمشق.

3) **بوتور** ميشال، 1986- **بحوث في الرواية الجديدة.** ط3، تر: فريد أنطونيوس، منشورات عويدات، بيروت.

4) **بينيت** طوني؛ **غروسبيرغ** لورانس؛ **موريس** ميغان، 2010- **مفاتيح اصطلاحية جديدة معجم مصطلحات الثقافة والمجتمع.** ط1، تر: سعيد الغانمي، المنظمة العربية للترجمة، توزيع مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت.

5) **ختام** جواد، 2016- **التداولية أصولها واتجاهاتها.** ط1، دار كنوز المعرفة.

6) **روبول** آن؛ **موشلار** جاك، 2003- **التداولية اليوم علم جديد في التواصل.** ط1، تر: سيف الدين دغفوس، محمد الشيباني، مراجعة: لطيف زيتوني، المنظمة العربية للترجمة، دار الطليعة، بيروت.

7) **روبول** آن؛ **موشلر** جاك، د.ت- **القاموس الموسوعي للتداولية**. د.ط، تر: مجموعة من الأساتذة والباحثين بإشراف عز الدين المجدوب، مراجعة : خالد ميلاد، المركز الوطني للترجمة، دار سيناترا- تونس، سلسلة اللسان.

8) **السمان** غادة، 1997- **الرواية المستحيلة فسيفساء دمشقية**. ط1، منشورات غادة السمان، بيروت.

9) **عبد الرحمن** طه، 2000- في أصول الحوار وتجديد علم الكلام. ط2، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء .

10) **عبد الفتاح** محمد، 1979- **سيكولوجية الاتصال والإعلام**. د.ط، دار المعرفة الجامعية- الإسكندرية.

11) **عشير** عبد السلام، 2006- **عندما نتواصل نغير مقاربة تداولية معرفية لآليات التواصل والحجاج**. د.ط، أفريقيا الشرق، المغرب.

12) **علوش** سعيد، 1985- **معجم المصطلحات الأدبية المعاصرة**، ط1، دار الكتاب اللبناني، بيروت، سوشبرس- الدار البيضاء.

13) **علوي** محمد إسماعيل، 2013- **التواصل الإنساني دراسة لسانية**. ط1، دار كنوز المعرفة، عمان.

14) **عواد** حنان، 1989- **قضايا عربية في أدب غادة السمان في فترة ما بين 1963-1975**، ط1، دار الطليعة، بيروت.

15) **ابن منظور** أبو الفضل جمال الدين محمّد بن مكرم الأنصاري الإفريقي المصري، 1981- **لسان العرب**. ط1، تح: عبد الله علي الكبير، محمد أحمد حسب الله، هاشم محمد الشاذلي، دار المعارف، مصر.

16) **نحلة** محمود أحمد، 2002- **آفاق جديدة في البحث اللغوي المعاصر**. د.ط، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية.

17) **نظيف** محمد، 2010- **الحوار وخصائص التفاعل التواصلي دراسة تطبيقية في اللسانيات التداولية**. د.ط، أفريقيا الشرق، المغرب.

18) **هوانغ** يان، 2020- **معجم أكسفورد للتداولية**. ط1، تر: هشام إبراهيم عبد الله الخليفة، دار الكتاب الجديدة المتحدة، لبنان.

الدّوريّات:

1) **الركابي** عذاب، 2012- **الرواية المستحيلة فسيفساء دمشقية لغادة السمان**. نزوى، عمان، ع72.
2) **بوعزة** محمد، 1 نوفمبر 1995- **الحوارية الروائية**. البيان، الكويت،6-12.
3) **كريستيفا** جوليا، 1 أكتوبر 2000- **الكلمة والحوار والرواية**. الآداب الأجنبية، تر: حسن المودن، ع104، 72-102.
4) زاوي، **أحمد** ، 1 أكتوبر 2013- **تجليّات الحوار في الخطاب السردي عند محمد مفلاح**. مجلة إشكالات في اللغة والأدب، الجزائر، ع3، 36-51.

The Dialogue in the *"Impossible Novel" By Ghadah Al-Samman* Pragmatics Approach in the Implicit Meaning

*** Dr.Malek Yaseen**

**** Malaz Harfosh**

Abstract Resume

This research studies the dialogue in the novel, the dialogue is one of the important form of communication it is the most reactive part in the literary work.

Linguistics theories studied the dialogue according to conversational implicate theories, and the principle of cooperation

* Professor, Arabic Department, Faculty of Arts and Humanities, Tishreen University, Latakia , Syria.

** P.HD student, Arabic Department, Faculty of Arts and Humanities, Tishreen University, Latakia, Syria. Malaz19harfosh86@gmail.com

side, this theory back to pragmatics theory, the rules of conversation are: quality, quantity, relation and manner, actually breathe principle is a main pillar to make a dialogue is full of implicit meaning.

In this research some conversation sections were4 induced in this novel, the dialogue was analyzed according to principle cooperation, it take's care of communication conditions, so we get to the implicate meaning

Keywords: dialog, pragmatic, conversational implicature, novel, implicit meaning.